

نحو تصحيح مسار الدراسات العليا

المقصود بالدراسات العليا — كما يعلم جميع طلبة الجامعات — أنها الأعمال والأبحاث العلمية التي يقوم بها الطلبة بعد تخرجهم بتقدير جيد على الأقل من مرحلة الليسانس والبكالوريوس، وتجري تحت إشراف أساتذة ذوي خبرة، يتابعون ويؤهلون هؤلاء الطلبة لكي ينجز كل منهم بحثاً علمياً في تخصص معين، وحين ينتهي منه تشكل لجنة علمية لمناقشته علنياً وتقييمه ثم الحكم عليه. وهكذا تتواصل مسيرة البحث العلمي المتخصص في جامعاتنا، وكذلك في سائر الجامعات العالمية. □

**

أما (تصحيح المسار) الوارد في العنوان، فيحتاج إلى وقفة مصارحة، وخاصة في المجال الذي أعمل فيه منذ حوالي نصف قرن، وهو مجال الدراسات العربية والإسلامية. وليبيان ذلك أقول: إن هذا المجال — الذي مر عليه اليوم في جامعاتنا ما يقرب من مائة عام — ما يزال يدور في دوائر مغلقة، تتسم بالنمطية ويغلب على معظمها السطحية وافتقارها إلى النتائج الإيجابية، وهي الأمور التي تنتهي بهذه الأبحاث — التي بذل فيها الكثير من الوقت والجهد — إلى التكدر على الأرفف وحتى ما يطبع منها لا يكاد يكون له تأثير يذكر في حياة المجتمع العملية أو الثقافية. □

**

ولما أريد أن أتطرق هنا إلى (كل) أسباب هذا الضعف الواضح في تلك الأبحاث وإنما سأكتفي فقط ببعضها الأكثر أهمية: أولاً: عدم تسليح الباحثين بلغة أجنبية أو أكثر — بالإضافة طبعاً إلى إتقان العربية — مما يجعل الباحث لا ينظر للأمور سوى بعين واحدة !

**

ثانياً: عدم الترحال إلى الأماكن التي يرغب الباحث في دراستها تاريخياً واجتماعياً وثقافياً، مع اكتفائه بما كتب عن هذه الأماكن في بلده وباللغة العربية وحدها !

**

ثالثاً: عندما يقوم الباحث بدراسة مقارنة بين الثقافة العربية والإسلامية وبين الثقافات الأخرى التي اتصلت بها وتفاعلت معها فإنه يكاد يقتصر فقط على المصادر العربية دون الاستعانة بمصادر الثقافات الأخرى، وبذلك يفقد البحث جزءاً أساسياً من بنيته .

**

رابعاً: هناك خطأ فادح تحول بمرور الوقت إلى عرف اجتماعي بغض، ومع الأسف لم يسلم منه الأساتذة أنفسهم، وذلك حين أصبحوا (يتوجون) الرسائل العلمية لطلبتهم جميعاً بأعلى تقدير (امتياز للماجستير، ومرتبة الشرف الأولى للدكتوراه) دون تمييز بين ضعيف وجيد ومتميز !

**

خامساً: أن جزءاً كبيراً من الدراسات العليا أصبح منصباً على (تحقيق التراث) ولما شك أن هذا ميدان هام جداً، لكنه مع الأسف كما يحتوى على بعض الجواهر الثمينة، يمتلئ بالحصى.. فليس كل ما كتبه السابقون يستحق أن نبذل فيه هذا الجهد الكبير، لكي نخرجه من حالته المخطوطة إلى المطبوعة ثم بعد ذلك نقرأ فيه فلا نجد ما يفيد !

**□

بقى أمر هام في مسألة تصحيح المسار، وهو في الحقيقة عبارة عن دعوة إلى المشتغلين بالدراسات العليا في كليات الآثار ودار العلوم والآداب، تتمثل في أهمية عقد مقارنات بين الكثير مما يوجد في الحضارة العربية والإسلامية وبين ما يشابهها أو يقاربها أو حتى يتناقض معها في الحضارة المصرية القديمة. وأستطيع أنؤكد لهم جميعاً أن هذه ما زالت مساحة شاسعة لم يرتدها كثير من الباحثين، لكنها تتضمن نتائج في غاية الأهمية، وهي تهم المشتغلين بالإجبتولوجي في كل أنحاء العالم فضلاً عن المتخصصين في الجامعات. لكن مثل هذا التوجه لا يأتي من فراغ، بل لا بد له من استعداد جيد في معرفة لغة وثقافة كل من الحضارتين، وحسبنا ما أنفقناه حتى الآن من وقت طويل في المقارنة مع الثقافة الإغريقية التي لا يوجد منها شيء في حياتنا، بينما الكثير والكثير جداً من عناصر الحضارتين المصرية والإسلامية ما زالت تعيش فينا وبيننا .

